في هذه الحلقة نتابع عرض الملف الكامل لمراحل التدخل الامريكية المختلفة في الهند الصينية ، ومراحل الهزيمة الكبرى التي واجهتها الامبريالية الامريكية على ايدي الشعوب الثائرة في تلك البلاد .

● سياسة التطهير والتهدئة .

لقد كانت مهمة نظام الحكم السايغوني العميل منذ البدء ، تطهير وتهدئة الجنوب كشرط اساسي لنجاح مشروع هذه الدولة المنفصلة القاعدة ، لمساعي الامبريالية الامريكية ادخال فيتنام بل وكل الهند — الصينية في شبكة العلاقات الامبريالية. ولم يكن هدف غزو الشمال لاخضاعه فيما بعد ، خارجا عن الخطة الامريكية الشاملة .

ولهذا شهد جنوب فيتنام عهدا من القمع الدموي باشراف المستشارين الامريكيين الذين ارسلهم كندي بهدف سحق وتصفية العناصر الوطنية والثورية . وقد انعكست هذه السياسة في برنامج التطهير والتهدئة الامريكية . وهدرت بلايين الدولارات على هذا البرنامج واعطي النظام العميل الاسلحة الحديثة ليفتك بالثوار ، بينما كان يستمر تدفق الخبراء والمستشارين الامريكيين الى سايغون .

وعندما اغتيل كندي في خريف ١٩٦٣ كان عدد الامريكيين الذين يخوضون الحرب السرية في فيتنام وراء ستار « الدور الاستشاري » المزعوم ، قد وصل الى ١٦ الف نسمة ، بعدما كان عددهم ٦٨٥ فقط ، عشية تسلمه الرئاسة ، ولكن عوض ان تنجح تلك السياسة في اجتثاث جبهة التحرير الوطنية ، فقد « نجحت » في نموها عمقا واتساعا ، وقد اصبح الثوار من القوة بحيث انطلقوا يجتاحون جنوب فيتنام في انحاء عديدة منها ، خاصة تلك المناطق الحدودية ، وكانوا منظمين الى ثلاث مجموعات : النظاميون ، وهم العامود الفقري . والوحدات المدربة تدريبا عاليا ، ومقسمة الى فرق والوية ، ومراكز القيادة الاقليمية .

وتجدر الاشارة الى ان المجموعة الثالثة ، عصابات الثوار المحلية ، لا تتلقى مخصصات شهرية . فهي مؤلفة من الفلاحين المحليين ، الذين يعملون في الارض نهارا ، ويناضلون ليلا . وهم منظمون في دوريات صغيرة (من ٤ — ٥ مقاتلين فقط) مهماتهم تتراوح من تزويد الثوار بالمؤن ، بالماء ، بالاخشاب وبغيرها من احتياجات القوات الاخرى المنظمة .

وتشير التقديرات الامريكية الاستخبارية ان عددهم في سنة ١٩٦٢ كان يتراوح بين ٨ و ١٠ الاف مقاتل ، ارتفع الى ما بين ٢٨ الفا و ٣٢ الف مقاتل في سنة ١٩٦٤ !

ولهذا فعندما تسلم لندون جونسون الرئاسة ، ادرك بان الحرب لا يمكن ان تنتهي (بالهدف الامريكي المنشود) الا بشروط ، منها ان تقوم الحكومة السايغونية باجراء « الاصلاحات الاجتماعية » الملحة ، باعتبار ان ذلك من شانه المساهمة في انجاح برنامج التطهير والتهدئة . ولكن جونسون نفسه كان يدرك بانه من غير الممكن احداث مثل هذه الاصلاحات والاحتفاظ بنظام حكم عميل في ان معا . ولهذا بقيت المراهنة على « الشروط العسكرية لانتصار الولايات المتحدة في فيتنام » . وكانت تلك الشروط ثلاثة : الاول ، حل المشكلة الرئيسية التي تشكلها حدود جنوب فيتنام الطويلة (٨٠٠ ميل) مع لاوس وكمبوديا ، وضرورة فرز الفرق العسكرية المحلية المدربة على مكافحة حرب العصابات ، تدعمها وتوجهها القوات المسلحة الخاصة الامريكية . وعرف هذا البرنامج بـ « حرب المناطق الحدودية » ، ومهمتها اقامة المخافر او الحاميات ، والقيام بالدوريات المتواصلة ، بهدف اغلاق الحدود لمنع وصول التموينات والتزويدات من فيتنام الشمالية ، الى الثوار .

اما الشرط العسكري الثاني ، فكان تحقيق الانتصار ضد الثورة في مناطق تجمع الثوار . وقد اطلق على البرنامج اسم « الحرب في مناطق التجمع الشيوعي » . وكان الشرط العسكري الثالث هو « كسب عقول وقلوب » الجماهير الريفية ، البحر الذي يعوم فيه السمك الثوري ، وذلك بواسطة برامج سياسية — اجتماعية ، تدعمها عمليات عسكرية تحت شعار تطهير المنطقة وفرض السيطرة الحكومية عليها . وقد لعبت القوات الخاصة الامريكية دورا اساسيا في هذا البرنامج ، الذي لم يكن سوى برنامج اخر في سياسة القمع والارهاب البوليسي .

وبدا جونسون يمهد لاعلان الطبيعة الحقيقية للدور الذي يقوم به الامريكيون هناك . فحتى ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة ما تزال متمسكة بزعمها ان دورهم لا يتعدى تقديم الاستشارة والخبرة ، بينما كانوا في الحقيقة يخوضون الحرب الامريكية السرية في ذلك الوقت . وظهرت التمهيدات في الدعوات القائلة بان بقاء الدور الامريكي محصورا بالمستشارين، يشكل « مخاطرة كبيرة » على مستقبل فيتنام الجنوبية ، « اذ كلما انتظرنا فترة اطول لنجاح جنوب فيتنام في النهاية ، كلما كانت المخاطر اكبر » بينما اذا « تعززت » القوة الامريكية الموجودة هناك ، تعزيزا متواضعا ، وسمح لها بان تشارك الفيتناميين (الحكوميين) « مشاركة فعالة » ، فبالامكان « اختصار المدة المطلوبة ، لتحقيق الانتصار وتقليص حجم المخاطر » (!)

فقد كانت الولايات المتحدة لا تزال تعتقد بان مشكلتها في فيتنام (او عجزها حتى ذلك الحين في سحق جبهة التحرير وقمع الثورة) هي مشكلة تكتيكية — مشكلة فنية تحلها بانزال المزيد من القوات الامريكية المدججة واستنباط الخطط الاكثر حذاقة من خطط واساليب الثورة ، وهي تتجاهل بمنهجيتها الامبريالية ، ذلك الخلاف الجوهري بين دوافعها ودوافع الثورة الشعبية التحررية ، وقدرة الارادة الشعبية المنظمة .

وبينما كانت واشنطن منكبة على ايجاد حل لهذه « المشكلة الفنية » التي تقف عائقا بينها وبين انتصارها العسكري المنشود ، كانت الحركة الثورية التحررية قد دخلت مرحلة حرب العصابات ، وتعمل لتحقيق هدفها المركزي : تاكيد وتعزيز وتاسيس ، عزلة العدو المعنوية ، وذلك بتوفير البديل لنظام الحكم المهقوت ، بواسطة انشاء الادارة البديلة . ولتحقيق هذا الهدف كان يتوجب تحطيم الوسيط او الصلة بين الحكومة واهل القرية المعنية . والصلة هذه هي الرئيس ومجلسه المحلي . ولم يكن من الصعب التخلص من هؤلاء ، لانهم كانوا يمثلون السلطة الاستغلالية والسلطة المهملة العاجزة والفاسدة . وكانت الوسيلة لتحطيم هذه الصلة اما باقناع هذا المجلس المحلي بالتحول او بتصفية وطرد المتعنتين منهم . ومن ثم شغل المناصب الشاغرة بعناصر مؤيدة للثورة . ولكن الكادر الثوري كان دائما يستحصل اقتناع وموافقة ودعم جماهير البلدة ، المسبق ...

ومن ثم كان على الثورة ان تباشر بانشاء البنية الادارية لجمع الضرائب ، لتوفير التعليم ، ولتمويل برنامج الانعاش الاجتماعي والحفاظ على الحركة الاقتصادية في المنطقة ، ولو على ادنى مستوى . وتلبية حاجيات السكان الاساسية هذه ، هي التي مكنت جبهة التحرير من فرض سيطرتها على المناطق التي تحررها ، واكتساب الالتفاف الجماهيري حولها في الريف الفيتنامي وتجدر الاشارة هنا ، الى ان الثوار الفيتناميون كانوا يسيطرون على ٧٠ بالمائة من الريف الفيتنامي خلال الفترة ما بين ١٩٥٧ — ١٩٦٠ ، وعندما كانت الولايات المتحدة تطرح ▣ العم نغو دينه ديم كبديل للعم هو ، على جماهير الشعب الفيتنامي !

فقد كانت القيادة الامريكية تزعم — وظلت تفعل طوال سنين الحرب — بان اساس تاييد المدنيين للثوار هو الارهاب الذي يمارسه الثوار على جماهير السكان . ولكنها كانت تدرك بان حرب العصابات الثورية تتطلب تاييد والتزام الجماهير السكانية بها ، وان هذا التاييد والالتزام لا يتحقق من فوهة البندقية ، بل بتماثل القوات الثورية بالقضايا الحياتية لجماهير المناطق التي تدخلها لتحررها . وكانت قيادة الثورة الفيتنامية قد وضعت قواعد سلوك لعناصرها ، للالتزام بها في تعاملهم مع السكان المدنيين ، والتوصية المعريضة فيها هي السلوك الصحيح والعادل . ولكن اسطورة الارهاب كاساس لتاييد المدنيين للثوار » ظلت سلاحا اعلاميا امريكيا ملائما ، لتشويه سمعة الثورة والتقليل من اهمية كون الديكتاتورية هي طابع انظمة الحكم السايغونية العميلة المتوالية ، بل ولتبرير اساس حربها العدوانية .

● التصعيد والحرب المحلية .

وبفشل سياسة التطهير والتهدئة ، بكافة برامجها والسقوط الذريع لخطة الاقتلاع السكاني لحرمان السمك من العوم في بحر الجماهير والتي انعكست في برنامج « القرى المحصنة » — حيث كان يتم تدمير قرية بكاملها ونقل سكانها قسرا ، الى قرى استراتيجية تحرسها القوات الحكومية ، وهي تعبير ملطف لتعبير معسكرات الاعتقال — وجدت ادارة جونسون نفسها في مازق . فهي في موقف العجز ، وقد استولت الثورة على زمام المبادرة